التوازن النفسي والسلوكي في شخصية الرسول (ﷺ)

زين العابدين حسين عسكر*

ملخص البحث

لقد استطاعت شخصية الرسول محمد (ﷺ) اجتذاب أنظار الناس إليها؛ بألقها، وعظمتها، وروعتها، وسماتها الفريدة، وصفاتها الحسان، ولعل أبرز سمات هذه الشخصية العظيمة؛ التوازن، إذ يعتبر التوازن في شخصية رسول الله (ﷺ) من أبرز صفاته (ﷺ)، وأنَّ الدارس لشخصية رسول الله (ﷺ) يلفت نظره ذلك التوازن الدقيق بين معالمها مما لا يمكن أنْ تجده في أي بشر سواه، هذا التوازن – الذي يعد من أبرز دلائل نبوته –يتمثل في الكم الهائل من الشمائل ومحاسن الأخلاق التي اجتمعت في شخصيته (ﷺ).

Abstract

The personality of the Messenger Muhammad (may God bless him and grant him peace) was able to attract people's attention to it،With her brilliance, grandeur, splendor, unique features, beautiful qualities, and perhaps the most prominent features of this great personality; Balance.

The balance in the personality of the Messenger of God (may God bless him and grant him peace) One of his most prominent qualities (may God bless him and grant him peace).

---

* . ديوان الوقف السني / دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية .

The one who studies the personality of the Messenger of God (may God bless him and grant him peace) draws his attention to that delicate balance between its features, which you cannot find in any human being except him.

this balance– Which is one of the most prominent indications of his prophethood – It is represented by the huge number of moral qualities and merits that have been combined in his personality (may God bless him and grant him peace).

المقدمة

تعتبر شخصية الرسول (ﷺ) الشخصية الرائعة على البشرية جمعاء، وهي الشخصية التي تكاملت صفاتها، ومن أبرز هذه الصفات (التوازن النفسي والسلوكي)، ومكانة الرسول (ﷺ) ومعرفة شخصية لها الأهمية البالغة في حياة المسلمين، وقد اخترت هذا البحث لأظهر هاتين الصفتين من صفات الرسول (ﷺ) لا سيما ونحن نرى بين الحين والآخر الهجمات الهمجية من أعداء الإسلام تجاه الإسلام والرسول (ﷺ)، فلا بد من نصرة نبينا بشتى الميادين ومنها كتاباتنا ومؤلفاتنا وبحوثنا.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي المسحي والتحليلي، وقد جعلته على النحو الآتي:

المطلب الأول: مفهوم الشخصية

المطلب الثاني: التوازن النفسي والسلوكي عند الرسول (ﷺ)

المطلب الثالث: مظاهر التوازن السلوكي عند الرسول (ﷺ)

الخاتمة

المطلب الأول : مفهوم الشخصية :

الشخصية لغةً: شخص: "الشَّخْصُ: جماعةُ شَخْصِ الإنسان وَغَيْرِهِ، مُذَكَّرٌ، وَالْجَمْعُ أَشْخاصٌ وشُخُوصٌ وشِخاص، والشَّخْصُ: سوادُ الإنسان وَغَيْرُهُ تَرَاهُ مِنْ بَعِيدٍ، تَقُولُ ثَلَاثَةُ أَشْخُصٍ. وَكُلُّ شَيْءٍ رأَيت جُسْمانَه، فَقَدْ رأَيتَ شَخْصَه"(١).

الشَّخْص: "كلُّ جِسْمٍ لَهُ ارْتِفَاعٌ وَظُهُورٌ، والمرادُ بِهِ إثباتُ الذَّاتِ فاسْتُعير لَهَا لفظُ الشَّخْصِ والشَّخِيصُ: العظِيم الشَّخْصِ، والأُنْثى شَخِيصةٌ، والاسمُ الشَّخاصةُ؛ قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: وَلَمْ أَسمع لَهُ بفِعْل فأَقول إِن الشَّخاصة مَصْدَرٌ، وَقَدْ شَخُصْت شَخاصةً. أَبو زَيْدٍ: رَجُلٌ شَخِيصٌ إِذا كَانَ سَيِّداً، وَقِيلَ: شَخِيصٌ إِذا كَانَ ذَا شَخْصٍ وخَلْقٍ عَظِيمٍ بَيّن الشَّخاصةِ. وشَخُصَ الرجلُ، بِالضَّمِّ، فَهُوَ شَخِيصٌ أَي جَسِيم. وشَخَصَ، بِالْفَتْحِ، شُخُوصاً: ارْتَفَعَ"(٢).

الشخصية اصطلاحاً: الشخصية في الاصطلاح العربي "هي مجموعة من السمات والخصائص والصفات الفكرية والسلوكية والوجدانية التي تخص فرداً بعينه وتميزه عن غيرهن فشخصيتك هي ما يخصك ويميزك عن غيرك"(٣).

تعريف علماء النفس : يعرف عثمان فراح الشخصية على "أنها التنظيم الهيكلي الداخلي لاستجابات الفرد الانفعالية الذاتية والخارجية، بالإضافة إلى العمليات العقلية العليا، كالأدراك والتذكر التي تحدد شكل الأنماط السلوكية الاستجابية للفرد"(٤).

تعريف علماء الاجتماع : عرف بسانر الشخصية على "أنها العادات والأنماط والسمات الخاصة بفرد معين، والتي تنتج عن العوامل الوراثية البيولوجية والاجتماعية المكتسبة والثقافية"(٥).

النواحي التكاملية في شخصية الرسول (ﷺ)

تتكون الشخصية من عدة نواحي:

النواحي الجسمية: تؤثر البنية الجسمية على الحالة النفسية خاصة من الناحية الانفعالية المزاجية.

النواحي العقلية: وينقسم إلى العمليات والقدرات العقلية.

النواحي المزاجية: ويقصد بها الاستعدادات الثابتة نسبيا والمبنية على ما لدى الشخص من الطاقة الانفعالية.

النواحي الخلقية: وتتكون من الصفات الخلقية لدى الفرد نتيجة ما يؤثر فيه من البيئة الخارجية.

النواحي الاجتماعية: هي العوامل الخارجية التي تؤثر في الشخص منذ بدء نموه(٦).

وقد تكاملت هذه النواحي جميعها في شخصية الرسول (ﷺ)، وسأذكر هنا على سبيل المثال وليس الحصر (الناحية العقلية والفكرية)، وقد كانت (الخلوة)(٧)، للنبي (ﷺ) في غار حراء وجهاً من وجوه رعاية الله لنبيه وإعداده للرسالة وشكل مَعلماً هاماً في بناء شخصيته، يقول سيد قطب: وكان اختياره (ﷺ) لهذه العزلة طرفاً من تدبير الله له ليعده لما ينتظره من الأمر العظيم فكان يخلو إلى نفسه، ويخلص من زحمة الحياة وشواغلها الصغيرة ويفرغ لموحيات الكون، ودلائل الإبداع وتسبح روحه وتتعامل مع الحقيقة الكبرى وتمرن على التعامل معها في إدراك وفهم، ولا بد لأي روح يراد لها أن تؤثر في واقع الحياة البشرية فتحولها وجهة أخرى...لا بد لهذه الروح من خلوة وعزلة، وانقطاع عن شواغل الأرض، وضجة الحياة، وهموم الناس الصغيرة التي تشغل الحياة، وهكذا دبر الله لرسوله (ﷺ) وهو يعده لحمل الأمانة الكبرى وتغيير وجه الأرض وتعديل خط التاريخ، حتى يحين موعد التعامل مع هذا الغيب، ويتدبر ما وراء الوجود من غيب مكنون، في هذه العزلة شهرا من الزمان(٨).

إنَّ الخلوة الاختيارية التي ألهمها النبي (ﷺ) كافية أنْ تمنح النبي (ﷺ) التفكير ضمن ثلاثة مستويات:

الأول: التفكير السطحي، وهو الحكم على الشيء بالنظر فيه، فنقول الكون موجود وهو عظيم.

والثاني: التفكير العميق، وهو الحكم على الشيء بالنظر فيه وفيما حوله، فيقال: الكون العظيم موجود لا بد أنَّ أحداً أوجده.

أما المستوى الثالث فهو: التفكير المستنير، هو الحكم على الشيء بالنظر فيه وفي ما حوله وما يتعلق به فيقال: من أوجد هذا الكون قدير ومبدع وهو لم يخلقه عبثاً(٩).

وفي منطقية علم النفس؛ فإنَّ التفكير مهم في بناء الشخصية الإنسانية القادرة على فهم الحياة والتأثير فيها، ويتبين أهمية التفكير في بناء الشخصية الإنسانية من خلال الآيات القرآنية الكثيرة التي

تحث على التفكر، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾(١٠)، فقد بينت الآية أنَّ أثر التفكير ينعكس على سلوك المسلم فيصبح ذاكراً لله في جميع احواله(١١).

المطلب الثاني :التوازن النفسي والسلوكي عند الرسول (ﷺ) :

"النفسية اسم مؤنث منسوب إلى نفس، وهي مشاعر وسلوك وإحساسات وطريقة تصرف لدى الفرد والجماعة، وكذلك الحالة العامة في الإنسان الناتجة عن مجمل ما انطوت عليه نفسه من ميول ونزعات وانطباعات ومشاعر"(١٢).

التوازن النفسي هو المستوى الثالث في الصحة النفسية (بعد السعادة وهي غلبة المشاعر الإيجابية، والرضى النفسي وهو القناعة بما هو موجود)، وهو حالة دينامية تكاد تتساوى فيه كفتان تحمل كل منهما شيئا يناقض بحيث يسمح هذا التوازن بحالة من الاستقرار النفسي. والتوازن الدينامي يعني أن الإنسان والبيئة المحيطة به في حالة تغير مستمر (وأحيانا اضطراب أو زلزلة) وبالتالي تكون ثمة احتمالات لتغيرات واضطرابات مؤقتة في حالة التوازن ولكنها سرعان ما تختفي بالإضافة أو الحذف في كفتي الميزان بحيث نبقي على حالة الاستقرار (١٣).

وقد استطاعت شخصية الرسول محمد (ﷺ) اجتذاب أنظار الناس إليها؛ بألقها، وعظمتها، وروعتها، وسماتها الفريدة، وصفاتها الحسان، ولعل أبرز سمات هذه الشخصية العظيمة؛ التوازن، إذ يعتبر التوازن في شخصية رسول الله (ﷺ) من أبرز ما يدل على أنه (ﷺ) رسول آخر الزمان، وخاتم الأنبياء، والمرسلين (١٤).

إنَّ الدارس لشخصية رسول الله (ﷺ) يلفت نظره ذلك التوازن الدقيق بين معالمها مما لا يمكن أنْ تجده في أي بشر سواه، هذا التوازن – الذي يعد من أبرز دلائل نبوته – يتمثل في الكم الهائل من الشمائل ومحاسن الأخلاق التي اجتمعت في شخصيته (ﷺ) على نسق متعادل، لا تطغى صفة على صفة ولا توظف صفة في موقف لا تحتاجه ولا تليق به، بل لكل مقام مقال ولكل حالة لبوسها حتى

لا يستطيع ذو عقل أنْ يقول ليت ما أمر به نهى عنه أو ما نهى عنه أمر به أو ليته زاد في عفوه أو نقص من عقابه إذ كل منه على أمنية أهل العقل وفكر أهل النظر، إنه الكمال البشري الذي يقود المسلمين إلى مزيد من الإعجاب والحب لرسولهم الكريم مفاخرين الدنيا بأسرها أنهم أتباع سيد البشر(١٥).

لقد سجل لنا التاريخ سير آلاف من المصلحين والزعماء الذين عاشوا مناضلين من أجل فكرة أو مبدأ أفادا شعوبهم أو الإنسانية عامة ولكن لم تجتمع كل المبادئ الطيبة إلاَّ في شخص رسول الله (ﷺ) في البيت والقيادة والأخلاق والعبادة والكثير من أوجه الحياة التي استنارت بمبعثه فصلوات الله عليه في الأولين والآخرين (١٦).

وفيما يلي تبيان لأبرز مظاهر التوازن في شخصية رسول الله (ﷺ):

أولا: التوازن النفسي في شخصية الرسول (ﷺ)

لقد كرَّم الله تعالى رسوله الكريم (ﷺ) بشخصية متوازنة من الناحية النفسية، فلم يكن رسول الله (ﷺ) بذلك الشخص الذي لا تعرف الدعابة، أو الابتسامة إليه سبيلاً، بل كان دائماً يداعب صحابته الكرام، وأهل بيته، وسائر إخوانه المسلمين، وفي الوقت ذاته لم يكن رسول الله (ﷺ) بذلك الشخص الذي يقضي حياته كلها في الضحك، والهزل، ومن هنا فإنه يمكن القول أنَّ شخصيته العظيمة جمعت بين الجد والدعابة باعتدال، ودون إسراف، من جانب آخر فقد كان رسول الله (ﷺ) يحزن كما يحزن سائر الناس، ويبكي كما يبكون، ولم يكن بكاؤه بصوت مرتفع، وكان يبكي دائماً من خشية الله تعالى، وخوفاً على أمته، وحزناً على فقدان حبيب من أحبته، وما أكثر مَن فقدهم (ﷺ) في حياته ! (١٧).

وقد حقق التوازن النفسي في شخصية الرسول (ﷺ) أسمى غاياته فكان ذا نفس سوية تتمتع بمثالية يدركها مَن له أدنى معرفة بالسلوك النفسي وأبعاده فما كان (ﷺ) بالكئيب العبوس الذي تنفر منه الطباع ولا بالكثير الضحك الهزلي الذي تسقط مهابته من العيون ولم يكن حزنه وبكاؤه إلاَّ مما يحزن ويبكى منه العقلاء في غير إفراط ولا إسراف، وفي ذلك يقول ابن القيم: وأما بكاؤه (ﷺ) فلم يكن بشهيق ورفع صوت ولكن كانت تدمع عيناه حتى تهملا ويسمع لصدره أزيز وكان بكاؤه تارةً رحمةً

للميت وتارةً خوفاً على أمته وشفقةً عليها وتارةً من خشية الله وتارةً عند سماع القرآن وهو بكاء اشتياق ومحبة وإجلال مصاحبٌ للخوف والخشية، ولمَّا مات ابنه إبراهيم دمعت عيناه وبكى رحمةً له وقال: (إِنَّ العَينَ لتَدمَعُ، وإنَ القَلبَ ليَحزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا على فِرَاقِكَ يَا إِبرَاهِيمُ لَمَحزُونُونَ)(١٨).

وبكى لمَّا شاهد إحدى بناته ونفسها تفيض وبكى لمَّا قرأ عليه ابن مسعود سورة النساء وانتهى فيها إلى قوله تعالى: ﴿فَكَيفَ إِذَا جِئنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾(١٩)، وبكى لمَّا جلس على قبر إحدى بناته وكان يبكى أحياناً في صلاة الليل](٢٠).

أمَّا ضحكه (ﷺ) فلا يوجد مَن هو أكثر اهتماماً بالدعوة من رسول الله (ﷺ)، ولقد كان (ﷺ) إماماً للناس، ومعلماً للدين، وحاكماً وقاضياً، وقائداً للجيوش، كما كان أباً رحيماً، وزوجاً باراً، وصاحباً وفياً، ومع هذا كله فقد كان (ﷺ) ضحَّاكًا بسَّاماً، يُربِّي ويهذِّب بالابتسامة والممازحة، فلضحكاته منافع، ولابتساماته وممازحاته مقاصد وفوائد، ولو ترك رسول الله (ﷺ) طريق الابتسامة إلى العبوس، لأخذ الناس أنفسهم بذلك، على ما فيه من مخالفة الفطرة من المشقة والعناء (٢١).

فكان يضحك مما يضُحكُ منه ويتعجبُّ وكان يداعب أصحابه، فعن أنس بن مالك ﷺ {أنَّ رجلاً أتى النبي (ﷺ) فاستحمله فقال رسول الله (ﷺ) (إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ) فقال: يا رسول الله ما أصنع بولد ناقة! فقال رسول الله (ﷺ): (وَهَل تَلِدُ الإِبِلَ إِلَّا النُّوقُ)} حديث صحيح (٢٢).

وعن عبد الله بن مغفل ﷺ قال: {أَصَبتُ جِرَابًا مِن شَحمٍ، يَومَ خَيبَرَ، قَالَ: فَالتَزَمتُهُ، فَقُلتُ: لَا أُعطِي اليَومَ أَحَدًا مِن هَذَا شَيئًا، قَالَ: فَالتَفَتُّ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ مُتَبَسِّمًا}(٢٣).

ثانيا: التوازن السلوكي في شخصية الرسول (ﷺ)

يعتبر التوازن السلوكي في شخصية رسول الله (ﷺ) أحد أبرز الأسباب التي جعلت منه قدوة للمسلمين، وحتى لغير المسلمين، الذي يبحثون عن الشخص المثالي، ليستضيئوا بنوره، وهديه خلال حياتهم، إلى جانب ذلك فقد كان رسول الله (ﷺ) (الرسول والعابد ورئيس الدولة والقائد العسكري

والأب والزوج والجد والصاحب) مما جعل الجميع قادرين على إيجاد الطرق الرشيدة التي تمكِّنهم من التعامل مع سائر أنواع المواقف التي قد يتعرضون لها في حياتهم (٢٤).

ومن أبرز مظاهر التوازن السلوكي في الشخصية النبوية الجليلة؛ ذلك التوازن العجيب والدقيق بين أقواله، وأفعاله؛ فبعض القادة يحثُّون أتباعهم على فعل سلوكيات محددة، ويستثنون أنفسهم، غير أنَّ رسول الله (ﷺ) كان أول مَن يطبِّق كل ما يصدر عنه من أقوال وإرشادات، وكان إذا عانى المسلمون من شيء فإنَّ معاناته منه تكون ضعفي معاناة أحدهم(٢٥).

إلى جانب ذلك، فقد جمع رسول (ﷺ) بين الحزم واللين، فكان يغضب غضباً شديداً للحق ولأجل الحق، وإذا ما انتهكت محارم الله، في حين أنه كان دائماً يغض الطرف عن إساءة أدب بعضهم معه، أو عن بعض الجهلة الذين يحاولون إثارة التشغيبات، أو استفزاز المسلمين، فكان الحلم مرافقاً لرسول الله (ﷺ) أينما حل وارتحل، هذا وقد جمع رسول الله (ﷺ) محاسن الأخلاق كلها(٢٦).

وكان (ﷺ) لا ينتقم لنفسه ولكن إذا انُتهكت حرمات الله لم يقم لغضبه شيء ولم يضرب بيده خادماً ولا امرأةً إلا أنْ يجاهد في سبيل الله، وخدمه أنس عشر سنين فما قال له: {أفٍّ قط ولا قال له لشيء فعله لم فعلت كذا ولا لشيء لم يفعله ألاَّ فعلت كذا}(٢٧).

وكان التوازن السلوكي في شخصية رسول الله (ﷺ) أحد دلائل نبوته فلقد جعل هذا التوازن من رسول الله (ﷺ) القدوة العليا التي تمثلت فيها كل جوانب الحياة فهو الأب والزوج ورئيس الدولة والقائد للجيش والمحارب الشجاع كما كان المستشار والقاضي والمربى والمعلم والعابد والزاهد ... إلى آخر صفاته (ﷺ) التي استوعبت كل جوانب حياة البشر الأمر الذي جعل من رسول الله (ﷺ) المثل الأعلى للناس كافة على اختلاف طبقاتهم ومشاربهم حتى تقوم الحجة على الناس مرتين مرة بالبيان النظري ومرة بالبيان العملي (٢٨).

المطلب الثالث : مظاهر التوازن السلوكي عند الرسول (ﷺ) :

التوازن النبوي بين القول والفعل.

شهدت البشرية في تاريخها الطويل انفصالاً بين المثل والواقع، بين المقال والفعال، بين الدعوى والحقيقة وكان دائماً المثال والمقال والدعوى أكبر من الواقع والفعال والحقيقة وهذا شيء يعرفه من له

أدنى معرفة بالتاريخ والحياة، غير أنَّ هذه الظاهرة تكاد تكون مفقودة في واقع الرسل وأتباعهم فهم وحدهم الذين دعوا الإنسانية إلى أعظم قمم السمو ومثلوا بسلوكهم العملي هذه الذروة بشكل رائع مدهش (٢٩).

فعن عبادته تقول السيدة عن عائشة رضي الله عنها: {كَانَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَتَفَطَّرَ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: " يَا عَائِشَةُ، أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا} (٣٠).

وعن أنس ﷺ قال: {كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يُفْطِرُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لاَ يَصُومَ مِنْهُ، وَيَصُومُ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لاَ يُفْطِرَ مِنْهُ شَيْئًا، وَكَانَ لاَ تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِّيًا إِلَّا رَأَيْتَهُ، وَلاَ نَائِمًا إِلَّا رَأَيْتَهُ}(٣١).

وعن علي ﷺ قال: {كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَقْرَبَ إلى الْقَوْمِ مِنْهُ} اسناده صحيح (٣٢).

الصدق النبوي في الجد والدعابة.

الصدق صفة أساسية لابد أنْ يتمتع بها صاحب الرسالة، هذا الصدق لابد أنْ يكون مطلقاً لا ينقض في أي حال بحيث لو امتحن صاحب الرسالة في كل قول له لكان مطابقاً للواقع إذا وعد أو عاهد أو جد أو داعب أو أخبر أو تنبأ، وإذا انتقضت أية صفة من هذه الصفات فإن دعوى الرسالة تنتقض من أساسها؛ لأنَّ الناس لا يثقون برسول غير صادق والرسول الصادق لا تجد في ثنايا كلامه شيئاً من الباطل في أي حال من الأحوال)(٣٣).

ولقد كان الصدق من أوضح السمات في شخصية رسول الله (ﷺ) ويكفي دلالة على هذا الصدق أنَّ قومه لقبوه (بالصادق الأمين)، بل أنَّ أول انطباع يرسخ في نفس مَن يراه لأول مرة أنه من الصديقين، فعن عبه الله بن سلام ﷺ قال: لمَّا قدم (ﷺ) المدينة انجفل الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله (ﷺ) ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استبنت وجه رسول الله (ﷺ) عرفت أنَّ وجهه ليس بوجه كذاب وكان أول شيء تكلم به أنْ قال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفشُوا السَّلاَمَ، وَأَطعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلاَمٍ) حديث صحيح(٣٤).

وحتى في أوقات الدعابة والمرح حيث يتخفف الكثيرون من قواعد الانضباط كان رسول الله (ﷺ) الصادق في مزاحه.

جـ- التوازن الأخلاقي في شخصية رسول الله (ﷺ)

خلقه (ﷺ)

من أبلغ وأجمع الكلمات التي وصفت أخلاق رسول الله (ﷺ) ما قالته السيدة عائشة رضي الله عنه: (كَانَ خُلُقُهُ القُرآنَ) اسناده صحيح على شرط الشيخين (٣٥)، ولقد كانت هذه الأخلاق من السمو والتوازن ما جعل تواضعه لا يغلب حلمه ولا يغلب حلمه بره وكرمه ولا يغلب بره وكرمه صبره ... وهكذا في كل شمائله (ﷺ) هذا مع انعدام التصرفات غير الأخلاقية في حياته.

تواضعه (ﷺ)

روى الإمام مسلم عن أبي رفاعة ﷺ قال: "انتهيت إلى النبي (ﷺ) وهو يخطب، قال: قلت: يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه، ولا يدري ما دينه؟ قال: فأقبل علي رسول الله (ﷺ) وترك خطبته حتى انتهى إلي، فأُتي بكرسي، حسبت قوائمه حديداً، قال: فقعد عليه رسول الله (ﷺ)، وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتى خطبته، فأتم آخرها، قال الإمام النووي رحمه الله: فيه تواضع النبي (ﷺ) ورفقه بالمسلمين، وشفقته عليهم، وخفض جناحه لهم(٣٦).

٣-حلمه (ﷺ)

روى الإمام مسلم عن عبد الله، لما كان يوم حنين آثر رسول الله (ﷺ) ناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشراف العرب، وآثرهم يومئذ في القسمة، فقال رجل: والله، إنَّ هذه لقسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله، قال فقلت: والله، لأخبرن رسول الله (ﷺ)، قال: فأتيته فأخبرته بما قال، قال: فتغيَّر وجهه حتى كان كالصرف، ثم قال: {فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ}، قال: ثم قال: {يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ}(٣٧).

كرمه (ﷺ)

روى الشيخان عن جابر بن عبد الله ﷺ أنه قال: ما سُئل رسول الله (ﷺ) شيئاً قط فقال: لا(٣٨)، وخرج رسول الله (ﷺ) قبل هوازن وخرج معه صفوان وهو كافر وقد أرسل إليه يستعيره سلاحه، فقال صفوان طوعاً أو كرهاً، فقال رسول الله (ﷺ): عاريةٌ رادةٌ، فأعاره مائة درع بأداتها، فأمر رسول الله (ﷺ) فحملها إلى حنين فشهد حنيناً والطائف ثم رجع رسول الله (ﷺ) إلى الجعرانة، فبينما رسول الله (ﷺ) يسير في الغنائم ينظر إليها ومعه صفوان بن أمية جعل صفوان ينظر إلى شعب مُليء نعماً وشاءً ورعاءً فأدام النظر إليه ورسول الله (ﷺ) يرمقه فقال: أبا وهب يعجبك هذا الشعب؟ قال: نعم قال: هو لك وما فيه، فقال صفوان: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلاَّ نفس نبي، أشهد أنَّ لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمدا عبده ورسوله وأسلم مكانه(٣٩).

د- التوازن النبوي بين الحزم واللين.

"رغم ما حباه الله به من الحلم والرأفة إلاَّ أنه (الحلم والرأفة) التي لا تجاوز حدها فكان (ﷺ) يغضب للحق إذا انتهكت حرمات الله فإذا غضب فلا يقوم لغضبه شيء حتى يهدم الباطل وينتهي وفيما عدا ذلك فهو أحلم الناس عن جاهل لا يعرف أدب الخطاب أو مسيء للأدب أو منافق يتظاهر بغير ما يبطن"(٤٠).

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: {مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) بِيَدِهِ خَادِمًا لَهُ قَطُّ وَلَا امْرَأَةً وَلَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) بِيَدِهِ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا كَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ أَيْسَرُهُمَا حَتَّى يَكُونَ إِثْمًا فَإِذَا كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْ الْإِثْمِ وَلَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ مِنْ شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَكُونَ هُوَ يَنْتَقِمُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ} اسناده صحيح على شرط الشيخين(٤١).

الخاتمة

لقد سجل لنا التاريخ سير آلاف من المصلحين والزعماء الذين عاشوا مناضلين من أجل فكرة أو مبدأ أفاد شعوبهم أو الإنسانية عامة ولكن لم تجتمع كل المبادئ الطيبة إلاَّ في شخص رسول الله (ﷺ) في البيت والقيادة والأخلاق والعبادة والكثير من أوجه الحياة التي استنارت بمبعثه(ﷺ).

وقد كرَّم الله تعالى رسوله الكريم (ﷺ) بشخصية متوازنة من الناحية النفسية، فلم يكن رسول الله (ﷺ) بذلك الشخص الذي لا تعرف الدعابة، أو الابتسامة إليه سبيلاً، بل كان دائماً يداعب صحابته الكرام، وأهل بيته، وسائر إخوانه المسلمين، وفي الوقت ذاته لم يكن رسول الله (ﷺ) بذلك الشخص الذي يقضي حياته كلها في الضحك والهزل، ومن هنا فإنه يمكن القول إنَّ شخصيته العظيمة جمعت بين الجد والدعابة باعتدال، ودون إسراف.

وقد حقق التوازن النفسي في شخصية الرسول (ﷺ) أسمى غاياته فكان ذا نفس سوية تتمتع بمثالية يدركها مَن له أدنى معرفة بالسلوك النفسي وأبعاده.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العاملين

الهوامش

(١) محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ١٤١٤هـ.، ٤٥/٧.

(٢) المصدر السابق، ٤٥/٧

(٣) http://falsafa.over-blog.org/article-٢٢٣٦٤٤١٤.html

(٤) عثمان فراح، الشخصية وعلم النفس الاجتماعي، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٧، ص٢٥١.

(٥) احمد عبد الخالق، الابعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة الاجتماعية، الإسكندرية، ١٩٨٧، ص ٢٩.

(٦) http://www.cambridgears.co.uk

(٧) الخلوة: محادثة السر مع الحق، حيث لا أحد ولا ملك.،علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، التعريفات،

ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان،١٩٨٣م، ١٠١/١.

(٨) ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة – مصر، ٢٠٠٣م، ٣٧٤١/٦.

(٩) ينظر احمد عصام الصفدي، نحو تعليم عال الفكر – المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، ١٤١٥هـ، ص ١٨٠-١٨٢.

(١٠) سورة آل عمران: الآية ١٩٠-١٩١.

(١١) ينظر احمد عصام الصفدي، نحو تعليم عال الفكر ، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٠-١٨٢.

(١٢) د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ٢٠٠٨ م ، ٢٢٥٦/٣.

(١٣) https://www.maganin.com/content.asp?contentid=٢١٥٨٠

(١٤) https://mawdoo٣.com

(١٥) http://tlatlilotfi.e-monsite.com/pages/٧٥.html

(١٦) د. خالد سعد النجار، التوازن النفسي والسلوكي في شخصية الرسول (ﷺ)، على شبكة قصة الإسلام بتاريخ ٢٠١١/٩/٢٢.

(١٧) https://mawdoo٣.com

(١٨) محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، صحيح البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت –لبنان،١٩٨٧م، ٨٣/٢.

(١٩) سورة النساء: الآية ٤١.

(٢٠) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان / مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ١٩٩٤م، ١٧٦/١.

(٢١) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٩٩٩م، ٣٢٢/٢١.

(٢٢) المصدر السابق، ٣٢٢/٢١.

(٢٣) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروف بـ(صحيح مسلم)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.، ١٣٩٣/٣.

(٢٤) https://ainpedia.com/article

(٢٥) https://mawdoo٣.com

(٢٦) جمع تشغيب والشغب هو تهييج الشر، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت–لبنان، ١٩٩٥م، ١٦٦/١.

(٢٧) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ، ١٤٠٨هـ، ١٤٨/١.

(٢٨) https://www.mercyprophet.org/mul/ar/node/٢٣٤٠

(٢٩) سعيد حوى، الرسول (ﷺ)، دار السلام – مصر، ص ٥١.

(٣٠) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مصدر سبق ذكره، ١٤١/٨.

(٣١) البخاري، صحيح البخاري، مصدر سبق ذكره، ٥٢/٢.

(٣٢) مسند الامام احمد، مصدر سبق ذكره، ١٥٦/١.

(٣٣) سعيد حوى، الرسول، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

(٣٤) محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى الضحاك الترمذي، (ت٢٧٩هـ)، الجامع الكبير، سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ١٩٩٨م، ٢٣٣/٤.

(٣٥) مسند الامام احمد، مصدر سبق ذكره، ١٨٣/٤٢.

(٣٦) مسلم، صحيح مسلم، مصدر سبق ذكره، ٥٩٧/٢.

(٣٧) الصرف هو صبغ أحمر يصبغ به الجلود، مسلم، صحيح مسلم، مصدر سبق ذكره، ٧٣٩/٢.

(٣٨) المصدر السابق، ١٨٠٥/٤ – البخاري، صحيح البخاري، مصدر سبق ذكره، ١٣/٨.

(٣٩) د علي محمد محمد الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، دار ابن كثير، بيروت – لبنان، ، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٦م، ٢٥٢/٨.

(٤٠) سعيد حوى، الرسول، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٥.

(٤١) مسند الامام احمد، مصدر سبق ذكره، ٣٧/٤٠.